الدرس الثالث والعشرون

تفسير سورة الجن [٥ :٩]

{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩)}

قوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[الجن:٤-٥].

أي: أننا حسبنا أنه لا يصدر من الإنس ولا من الجن خبرٌ مخالفٌ للواقع، لكن الأمر لم يقع على حسبانهم، فقالت الجن وقالت الإنس كذبًا على الله ﷻ بلا علم، فاستعظموا ذلك رحمهم الله ورضي عنهم. وكل هذه الجمل المتتالية تكشف وتفصح عن هذا الإيمان الدفاق النابع عن يقينٍ ورسوخ وعثورٍ على الحق الذي كانوا ينشدونه.

ثُمّ مضوا في حكاية ما ينكرون، فقالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:٦].

يحكون أمرًا كان عليه مشركو العرب وغيرهم من الشرك في الاستعاذة أيضًا، ومعنى {يَعُوذُونَ} أي يلتجئون إليهم، ويفزعون إليهم، ويعتصمون بهم، قال الحسن ويروى عن ابن عباس قريبًا من هذا المعنى: كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به، قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه[1]. يعني يستعيذ بسيد الوادي من الجن أن يصيبه في نفسه أو ولده، أو ماله ضر، فيعوذ بغائبٍ مجهول فهذه استعاذةٌ شركية.

---

[1] تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٤).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

ولهذا عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتابه (التوحيد)، بابًا بهذا العنوان، باب (من الشرك الاستعاذة بغير الله)، وذكر هذه الآية، وذكر فيه حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ)[٢].

فهذا بديلٌ عن مقالة أهل الشرك الذين يستعيذون بغير الله ﷻ، فمن استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، أمَّا من استعاذ بغير الله فيما يقدر عليه ذلك المستعاذ به فلا حرج عليه، كأن يقول رجل يطرده اللصوص لرجل: عذتُ بك، أو أعوذ بك، فلا بأس، هذه استعاذةٌ جائزة، وقد قال النبي ﷺ: (يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ)[٣]، يعني يعتصم رجل بالكعبة ومثلها الاستغاثة، إذا كانت من قادرٍ عليها فليس فيها شيءٌ من الشرك.

قال الله تعلى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[القصص:١٥]، الاستعاذة الشركية هي ما يصدر من بعض المشركين قديمًا وحديثًا يستعيذون بالجن أو بالملائكة أو بالأولياء أو المقبورين من مخاوف متنوعة، أن يصيبهم أحدٌ بسوء، وهؤلاء المدعووين لا يملكون لأنفسهم، فضلًا عن غيرهم، ضرًّا ولا نفعًا، فكانت استعاذتهم تلك استعاذةً شركية.

ودلت الآية على أن في الجن رجالٌ ونساء؛ وهذا هو الواقع، فإنهم يتكاثرون ويتناسلون كما يتكاثر ويتناسل الآدميون، وقال بعض الشراح في تفسير قول النبي ﷺ عند دخول الخلاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ)[٤]، أن الخُبُث هم ذكور الجن،

---

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٨٨٢).

(٤) أخرجه البخاري رقم (١٤٢)، ومسلم رقم (٣٧٥)، متفق عليه.

والخبائث إناثها، ففيهم رجالٌ وفيهم نساء؛ وإنما عبر بالاستعاذة بالرجال؛ لأن الرجل أقوى من المرأة.

قال: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:٦]، من زاد من؟ هل الإنس زادوا الجن رهقًا، أم الجن زادوا الإنس رهقًا؟ قولان للمفسرين، فقال بعض المفسرين: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الإنسُ الجنَ طغيانًا وإثمًا واستطالةً، أي: أن الجن لما رأوا الإنس يعوذون بهم ويفرقون منهم ويفزعون منهم انتفشوا وتعاظموا وتكبروا على الإنس، وقال آخرون: أي زاد الجنُ الإنسَ رهقًا، عنتًا، ومشقةً وإذلالًا.

ولا مانع من حمل الآية على المعنيين، فإن هذه الاستعاذة الشركية أدت إلى حصول الأمرين، أدت إلى طغيان الجن، وانتفاشهم، وأدت إلى حصول الرهق والعنت والمذلة للإنس، فهذه عادةٌ جاهليةٌ شركية كان يفعلها المشركون فأخبر مؤمنو الجن عن هذا الأمر وكشفوا حقيقته.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾[الجن:٦-٧].

للمفسرين في المراد بالبعث هنا قولان:

القول الأول: البعث بعد الموت، فشابه كفرة الجن كفرة الإنس في إنكار البعث.

القول الثاني: بعثة الرسل، وهذا هو الأليق بالسياق.

فظن الجن أن الله تعالى لن يبعث نبيًا، وأن سلسلة الأنبياء قد انقطعت.

قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾[الجن:٨]: يعني تحسسنا السماء وعسسناها.

من شأن الجن أنهم يطيرون في أجواز الفضاء خلاف الإنس ويصلون إلى السماء الدنيا، فكانوا يتخذون مقاعد يسترقون فيها السمع، ففوجئوا بحدثٍ جديد، بأن السماء

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

باتت محروسة مصونة محفوظة، منيعة، وباتوا يتعرضون للقصف وللرجم بالشهب والنيازك التي تحرقهم.

﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا ﴾، من ملائكة الرحمن، ﴿ وَشُهُبًا﴾[الجن:٨] تنطلق نحوهم كما قال ربنا: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات:١٠]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[الطارق:١-٣]، فلاحظوا كثرة الشُهُب في تلك الآونة التي زامنت بعثة نبينا ﷺ.

ولهذا روى السُدِّي وهو من الأخبار تحتمل ولا يلتزم فيها بصحة السند، أخبارٌ من أخبار الناس أن أهل الطائف رأوا كثرة الشُهُب والنيازك فخافوا وزعروا، وقالوا: ماتوا أهل السماء، هلكوا أهل السماء، وصاروا يعتقون عبيدهم، ويسيبون مواشيهم، فقال لهم سيدٌ من ساداتهم يقال له يليل بن عمير: امسكوا عليكم أموالكم وامضوا، فما أظن ذلك إلا من أجل ابن كبشة، من يقصد بابن أبي كبشة؟ النبي ﷺ(٥).

استنبط أن هذا الحفظ وهذه الصيانة والحراسة؛ لأجل بعثة النبي ﷺ، وكانوا ينبزون النبي ﷺ بهذا اللقب، فانظروا إلى معالم النجوم فإن كانت في مواقعها فإن أهل السماء لم يهلكوا، وإن كانت قد ذهب عن مواقعها فقد هلك أهل السماء، فنظروا وتأملوا وإذا بالنجوم الثابتة والسيارة في مواقعها، فكفوا عما كانوا يفعلون.

والمقصود أن الناس؛ الإنس والجن لاحظوا هذه الظاهرة المصاحبة لبعثة نبينا ﷺ وهي الرمي بالشُهُب؛ لأنّ الله تعالى أراد أن يحفظ وحيه وكتابه، فلا يختلط كلام الله تعالى بغيره بكلام ولا يسترق ولا يخطفه الجن فيوحونه إلى الكهان، فلا يقعد جنٌ لاستراق السمع إلا ويتبعه شهابٌ ثابق.

---

(٥) البداية والنهاية (٣/ ٢٠).

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾[الجن:٨-٩].

يصفون حالهم السابق أنهم كانوا يتخذون المواقع والمقاعد التي يسترقون فيها السمع، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[الجن:٩]، فقد حيل بينهم وبينه ولن يقع مجددًا، ومما ورد من الآثار المروية في استماع الجن إلى النبي ﷺ.

وبالجملة فإنه يجب علينا ان نقتصر على ما دل عليه القرآن والسُنَّة من خبر الجن، وألا نصغي إلى ما يتناقله العامة من خرافات وقصص لا تثبت، كقول العامة: الجن يحبون كذا وكذا، الجن يكرهون كذا وكذا، الجن ينفرون من كذا وكذا، هذه مجرد ظنون ودعاوى، وعلينا أن نعتقد ما دل عليه القرآن أن الجن خلقٌ من خلق الله، وأنهم عبادٌ مكلفون؛ وأنهم مأمورون منهيون، وأنهم مثابون معاقبون، وأن منهم من يدخل الجنة، ومنهم من يدخل النار، فمؤمنوهم يدخلون الجنة، وكافروهم يدخلون النار، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الآيات لاحقًا.

وعلى المؤمن ألا يعتقد ولا يستصحب شيئًا من هذه الخرافات، وعليه أن يحذر ذويه وأهله وأولاده من كل فكرةٍ باطلة لا سيما في هذا الوقت، الذي انتشرت فيه الخرافات عن طريق الوسائط والمقاطع حتى بات كثيرٌ من أطفال المسلمين يتخوضون ويتوهمون جراء ما يشاهدونه من خرافاتٍ وحكايات، تلعب بعقولهم وتعكر أمزجتهم، وتصيبهم بالذعر والرُهاب.

الفوائد الْمُستنبطة:

الفائدة الأولى: أن القواقل من ألفاظ السور وحروف القرآن وليست زائدةً عنه.

الفائدة الثانية: التأكيد على الأمر غير المألوف.

الفائدة الثالثة: الفرق بين السماع والاستماع.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة الرابعة: أن المشروع عند سماع القرآن هو الاستماع والإنصات، بغرض التدبر لا يكتفي بمجرد التطريب والتلذذ بأداء المرتلين، وإن كان هذا حسنًا ومقصودًا.

الفائدة الخامسة: إثبات وجود الجن وسماعهم من الإنس، فمن أنكر الجن فقد كفر.

الفائدة السادسة: أن الجن مكلفون مأمورون، منهيون مثابون، ومعاقبون، وهم خلقٌ من خلق الله إلا أن لهم خصائص تختلف عن خصائص الإنس.

الفائدة السابعة: شمول رسالته ﷺ للإنس والجن.

الفائدة الثامنة: كمال عقول هؤلاء النفر وصحة إيمانهم.

الفائدة التاسعة: فضيلة القرآن وعظيم أثره في النفوس.

الفائدة العاشرة: أن أعجب ما في القرآن وأعظمه هو الهداية للرشد.

الفائدة الحادية عشرة: أن مقتضى الاهتداء هو الإيمان المستلزم للقول والعمل. فلا يكفي مجرد الإقرار والاعتراف بالحق؛ بل لا بُدَّ أن يستتبع ذلك إيمانًا، والإيمان قولٌ وعمل.

الفائدة الثانية عشرة: أن الرشد نقيض الغي، وأعظم الرشد التوحيد، وأعظم الغي الشرك.

الفائدة الثالثة عشرة: أن مجرد سماع القرآن يثمر التوحيد والعلم بألوهية قائله سبحانه

الفائدة الرابعة عشرة: تعظيم شأن الرب وأمره وفعله، وآلائه وجلاله، وقدرته ونعمه.

الفائدة الخامسة عشرة: تتريه الرب عن الصاحبة والولد وأنه مقتضى التوحيد.

الفائدة السادسة عشرة: الرد على مدعي البنوة والزيجة من المشركين، واليهود، والنصارى.

الفائدة السابعة عشرة: أن الإيمان والتوحيد يثمر التتريه والتعظيم.

الفائدة الثامنة عشرة: أن السفه والطيش يثمر المقالات الباطلة الجائرة.

الفائدة التاسعة عشرة: تشابه الإنس والجن في المأثم والمغرم، كما في البر والمغنم.

الفائدة العشرون: بيان شرك الاستعاذة، وهو طلب العوذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة الحادية والعشرون: أن الخوف من غير الله يورث الرهق للمستعيذ والمستعاذ به.

الفائدة الثانية والعشرون: تشابه كفار الجن والإنس في إنكار البعث والنبوة.

الفائدة الثالثة والعشرون: تمكن الجن من بلوغ السماء واتخاذ المقاعد لاستراق السمع.

الفائدة الرابعة والعشرون: حراسة السماء بالشُهُب والرجوم حالة تنزل الوحي.

الفائدة الخامسة والعشرون: توجس الجن من وقوع حدث في الأرض لتشديد الحراسة في السماء.

الفائدة السادسة والعشرون: حفظ الله لوحيه وكتابة.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله